الاستشراق
والاختراق الثقافي للعالم الإسلامي
خلال القرن 19م

أ/- دليلة بوجناح
جامعة العفرون - البليدة

- الملخص:
تناولت هده الدراسة علم الاستشراق، الذي يهتم بدراسة كل ما يخص الشرق، وهو النصرانيةعلم يختص بدراسة اللغات، وهي كلمة مشتقة من "شرق" وتعني شروق الشمس؛ أي هو يضم علوم العالم الشرقي، ويعرف كذلك، أن الاستشراق هو تبحر في لغات الشرق وآدابه وحضارته، وعلمه، وثقافته، ومجتمعه، واهتم حتى بالجانب النفسي لهذه الشعوب، فتحوّل الهدف من دراسة الموقع الجغرافي إلى دراسات من أجل تسهيل السيطرة عليه واستغلاله.
هذا الشرق المتنوع الشعوب، والحضارات واللغات والثقافات والأجناس والتي انصهرت كلها تحت راية الإسلام ولمدة عدة قرون، الذي شكل ومازال يشكل العدو للكنيسة، والقوى الاستعمارية التي قادت حملات الاستيلاء خلال القرن التاسع عشر، وأمام فكرة اهتمام الغرب بالجانب الاجتماعي عادات وتقاليد الشرق، ترتسم الإشكالية التي تتمحور حول هذا الاهتمام بالمجتمعات في هذه المناطق الشرقية؟ إذا علمنا أن اهتمام المستشرقين بعلوم الشرق جاء مع احتكاكهم بالمسلمين خلال الحروب الصليبية، وتيقنهم من التخلف والانحطاط الذي كان أوروبا تتخبط فيه مقارنة بالعالم الشرقي المسلم. في حين أن الاهتمام كان يفترض أن يتوجه نحو العلوم أو حتى اللغة، ولكن بمجرد الوصول إلى الجانب الاجتماعي، يعني أنه هناك نية اختراق هذا المجتمع، فما هي الوسائل المستعملة من أجل تحقيق هذه الأهداف؟

- الكلمات المفتاحية: الاستشراق؛ الاستعمار؛ الكنيسة؛ رجال الدين؛ المؤلفات الاستشراقية.

المنارة للاستشارات

Résumé:

Cette étude traite de l'orientalisme, une science qui étudie tout ce qui a trait à orient, Il est dérivé du mot "Orient" et signifie lever du soleil, c'est-à-dire la science du monde oriental ; On sait également que l'orientalisme est l'étude des langues, de la littérature, de la civilisation, de la science, de la culture et de la société orientale. Également intéressé par l'aspect psychologique de ces peuples, l'objectif est passé de l'étude de la localisation géographique à l'étude afin de faciliter le contrôle et la colonisation.

Ces divers peuples, civilisations, langues, cultures et races de l'Orient, tous unis sous la bannière de l'islam pendant des siècles, Qui était et représente encore l'ennemi de l'Église et des puissances coloniales qui ont dirigé les campagnes de prise de contrôle au XIXe siècle,

Considérant l'intérêt de l'occident aux aspects sociaux, des coutumes et traditions de l'Orient, se définie la problématique qui traite des objectifs de cet l'intérêt pour ces sociétés orientales. Sachant que l'intérêt des orientalistes pour les sciences de l'Orient est apparut pendant les croisades, certains du retard et de la décadence dans lesquels vivait l'Europe comparé au monde musulman et oriental.

Alors que l'attention était censée être orientée vers la science, la culture ou même la langue, Mais le faite de se focalisé sur l'aspect social cela signifie qu'il existe une intention de pénétrer dans cette société. Quels ont été les moyens utilisés pour atteindre ces objectifs?

المنارة للاستشارات

المقدمة:

اهتم الغرب النصراني بالعالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام، وتوسع المسلمين على حساب الأراضي النصرانية، في الضفة الغربية للبحر الأبيض المتوسط بداية ثم في أوروبا نفسها، ونافسوا الغرب في مناطق نفوذهم، فالمشاريع الغربية والفرنسية منها والموجهة إلى قارتي إفريقيا وآسيا على وجه الخصوص، وبدرجة أقل القارة الأمريكية، لها علاقة أكيدة بالكنيسة النصرانية، باعتبار الأخيرة المعبّرة والقائدة بلا منازع للديانة النصرانية بمختلف مذاهبها وتوجهاتها، فهي تحمل بين طياتها في الظاهر والعلن فكرًا ومنهجًا، الهدف منه العمل والسعي الدؤوب إلى الهيمنة والسيطرة على الشعوب والدول غير النصرانية، وعلى وجه التحديد الشعوب والدول الإسلامية.

وانطلاقًا من هذا الفكر الساعي إلى الهيمنة، تعرّض العالم الإسلامي لهجمات عديدة، بطرق وأشكال متعدّدة طيلة قرون، وكل هذه الهجمات كانت مشبّعة بفكر كنسي معادي للإسلام عمل على نشره رجال الدين، وتأججت الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي، فقد حاولت الكنيسة خلالها السيطرة على هذه المناطق بحجة استرجاع مناطق المقدسة. ورغم فشل الحروب الصليبية إلا أن المحولات لم تتوقف وبطرق جديدة، تتأقلم في كل مرة مع الأوضاع والمخططات والأهداف الغربية من أجل السيطرة، حيث تبلورت مفاهيم في الفكر الاستعماري ولكن بصيغ جديدة، أوهم من خلالها أصحاب الفكر الريادي للعالم الاستعماري بقية الشعوب على أن مهمتهم تتجسّد في جلب الحضارة وتطوير العالم المتخلّف (الإسلامي أنموذجا) وأظهروا استعدادهم لتقديم التضحيات اللازمة لإتمام وإنجاز هذه المهمة النبيلة (تمدين العالم).

وتيقّن الغرب النصراني من أهمية رجال الدين ونشاطهم من أجل تعبيد الطريق للمستعمر، فتم استعمالهم من أجل اختراق المجتمعات الإسلامية، ومحاولة زعزعة القناعات الدينية بداخل الفرد المسلم بشكل أو بأخر، وهي الغايات التي تجند حولها المنصرون على اختلافهم؛ وهنا نشير إلى وجود المنصر البسيط والذي يتركز نشاطه على عامة الناس، والمنصر المتعلم الذي يهتم

المنارة للاستشارات

بالمثقفين والمتعلمين في المجتمع، فيكون نشاطه عن طريق إصدارات وأعمال علمية، يركز من خلالها على علماء ومنظرين. وهذا ما يعرف بعلم الاستشراق [1]. وهو كلمة أطلقت على كل الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين عن كل ما يخص الشرق: لغاته، أديانه، تاريخه، وأوضاعه الاجتماعية[2]، بمجرّد أن نرى كلمة أو مصطلح دراسة الأوضاع الاجتماعية، نتساءل لماذا هذا الاهتمام بالمجتمعات في هذه المناطق الشرقية؟ إذا علمنا أن اهتمام المستشرقين بعلوم الشرق جاء مع احتكاكهم بالمسلمين خلال الحروب الصليبية، وتيقنهم من التخلف والانحطاط الذي كان أوروبا تتخبط فيه مقارنة بالعالم الشرقي المسلم[3]. في حين أن الاهتمام كان يفترض أن يتوجه نحو العلوم أو حتى اللغة، ولكن بمجرد الوصول إلى الجانب الاجتماعي، يعني أنه هناك نية اختراق هذا المجتمع، فما هي والوسائل المستعملة من أجل تحقيق هذه الأهداف؟

1- مفهوم الاستشراق:

بالرغم من صعوبة تحديد مفهوم الاستشراق، بسبب تعدّد هؤلاء المستشرقين عددًا ونوعًا، فإنه ومن خلال كل ما كُتِب يمكن القول أنه ذلك الكل الذي يجمع المكان والزمان، والإنسان والثقافة. فبالنسبة لمكان الدراسة هي الاتجاه نحو الشرق، فالإطار المكاني هو الشرق والذي يعتبر من أجزاء العالم القديم، وله قيمة وأثر على الإنسانية والعالم بأكمله، حيث كان منبع الحضارات الأولى ومهد كل الديانات السماوية، ولكن عند تحديد هذا الشرق جغرافيًا هو الواقع في شرق البحر الأبيض المتوسط؛ أي هو المنطقة الواقعة من أطراف الصين شرقًا إلى موريتانيا غربًا ومن تركيا والعراق شمالاً إلى إندونيسيا جنوبًا، فهو شرق جغرافي في الجهة الشرقية مواجهًا ومقابلاً للغرب المتمثل في أوروبا[4].

جاء الاستشراق ضمن طرق أو أساليب اختراق جديدة تتخذ من المواجهة غير المسلحة شكلا لها. وهو فرع أو تيار موازي للتنصير، وله نفس الأهداف والغاية، ويسيران جنبًا إلى جنب لتحقيق هدف واحد مشترك، وهو الحط من القيم الإسلامية، واستهداف وحدة المسلمين والتمكن من السيطرة على خيرات المنطقة وثرواتها، وصرف أهلها في آخر المطاف عن الدين إسلامي، وجلبهم إلى أحضان الحضارة الغربية ومسايرتها[5].

المنارة للاستشارات

وبذلك فان الدراسات الاستشراقية لها علاقة وارتباط وثيق بالتنصير، بما أنه بدأ على يد قساوسة ورهبان، ولم ينفصل عن اللاهوت، بل لو نظرنا إلى الحركة الاستشراقية لوجدنا أن معظم المستشرقين ينطبق عليهم تعريف الاستشراق والتنصير في نفس الوقت، ومن بينهم صَمُوَيلْ زُومِيرْ(S.M. Zweimer)، وكذا جورج سيل (George Sale)، وماسينيون (Massignon)، وغيرهم كثيرين، كما أن المنصر والمستشرق يلتقيان في الأهداف العامة لنشاطهم وذلك في تشويه الإسلام، وكلاهما يجب أن يكونا على معرفة وإطلاع في علم اللاهوت، بل ويكون متعمقًا في الدراسات اللاهوتية، كما يجب عليهما أن يكونا عارفَين وملمَّين باللغة العربية وباللغات الشرقية على وجه العموم[6]. وبذلك فإنهما لهما نفس التكوين، علمًا أن التكوين عند المنصرين يكون بمجمله كنسي أي بين جدران كنيسة أو دير، وبما أنهما يلتقيان في خصوصياتهما، فبالتالي، فإن المستشرق يكون متشبعا بالأفكار الكنسية، وربما العدائية للإسلام والمسلمين وحتى الديانات الأخرى [7]، فهذا الاستشراق الذي له صلة قوية مع الاستعمار منبته الكنيسة وغذاؤه العداء الذي كان بين النصرانية والإسلام [8].

ومن ثمة يكون عمل المستشرق عبارة عن دراسات ممنهجة للوصول إلى تحقيق أفكار مسبقة عادةً، فيعمل على برهنتها للوصول إلى زرع الشكوك والظن في نفوس المسلمين باستعمال نخبتها، فغاية المستشرق ليست بالضرورة التنصير وإنما زرع الشك[9].

واهتمت هذه الدراسات بكل ما يمثل الشرق من حضارة، وعلم، وثقافة، واقتصاد، واجتماع، ومجتمع، وحاولت الاهتمام حتى بالجانب النفسي لهذه الشعوب، فتحوّل الهدف من دراسة موقع جغرافي إلى دراسات من أجل تسهيل السيطرة عليه واستغلاله. هذا الشرق المتنوع الشعوب، والحضارات واللغات والثقافات والأجناس والتي انصهرت كلها تحت راية واحدة ولمدة عدة قرون وهي الإسلام، ما حرك تساؤلات من قبيل، ما الذي جعله يحقّق ذلك، وكيف يمكن الاستفادة منه. حيث أصبح الاستشراق يمثل رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب)؛ أي نظرة الخصم، المنافس، الغامض، حيث أن المستشرقون في الشرق أصبحوا لا يرون إلاّ ما يريدون رؤيته[10].

المنارة للاستشارات

فمن خلال دراستهم حاولوا إظهار الشرق المفترض لديهم؛ أي أن الفكر الاستشراقي، هو الذي أوجد هذا الشرق، فصوّر هذا الشعب على أنه يهدد العالم النصراني، فوصفهم الغرب عبر العصور بصفات مختلفة خدمت وتخدم في كل مرة مخططاتهم الاستيلائية [11].

2- مهمة الاستشراق

تيقن الغرب عن طريق علمائهم ومنظريهم ومنصريهم، أن الأنسب للسيطرة على العالم الإسلامي، هي طريقة الأسلوب الشامل[12]، دون الوصول إلى المواجهة المباشرة، ذلك أن الدعوة المباشرة على الطريقة القديمة، أصبحت لا جدوى لها[13]. لتحقيق أهدافهم، وآليات أو طرق تنفيذ أهدافهم هو المؤسسات، وبذلك وجب تقسيم مهمة التنصير في المنطقة أو الدولة المراد تنصيرها، والاهتمام بتنصير كل فئة بطريقتها الخاصة وحسب اهتماماتها، ووضعت خطط ومشاريع لكل منها.

وكان نشاط المنصرين هو التطبيق الفعلي لهذه الخطط والمشاريع والبرامج، التي تهدف أساساً إلى خلق بيئة ومجتمع له قابلية للاستعمار بكل أنواعه لاسيما الفكري وهو الأخطر، ومن اجل إبعاد هذه المجتمعات عن عقيدتها، وأصبح من الضروري على المنصر اقتلاع الإسلام من جذوره، وتنصير كل المسلمين، لذلك وجب الالتفاف حول الإسلام، والهرب من مواجهته، بل اختراقه عن طريق التحكم في مصطلحاته وثقافته والأنماط والأشكال المألوفة عند أهله. فعملوا جاهدين على السيطرة على أهم عناصر التعليم، والثقافة، والإعلام، واخترعوا قوانين ونظم من أجل استبدالها بقوانين الشريعة التي كانت تطبق في كل المجالات [14].

فعملوا على إيجاد جو متقبل للنصرانية، وذلك عن طريق الأدبيات والكتب، حتى تصبح النصرانية مألوفة في الأوساط الإسلامية [15]، واختراق الإسلام والمجتمع الإسلامي وهدمه وتنصيره من الداخل، حتى وإن بقي مسلم بالديانة ومسيحي بالتصرف والتفكير. فوصلوا إلى أسلوب التسلل والذي وصفوه هم

المنارة للاستشارات

بالقوة الصامتة وغير مرئية، وهي لا تدخل في أية جدال، وتنتقل من العقل إلى القلب ثم إلى الضمير، للوصول في الأخير إلى تحقيق ما يريدونه وهو التنصير، وهذا هو التخطيط الجديد الذي بدأ أو تصاعد بعد الحروب الصليبية في بروتوكولات القساوسة المنصرين والذين قالوا:" إن الطريقة الوحيدة للوصول إلى المسلمين وتنصيرهم هي الطريقة الصامتة التي لا يمكن أن يتفطنوا لها ويحاربونها حتى بعد فوات الأوان"[16].

وبذلك فإن التنصير والاستشراق يعدان دعامة الاستعمار في العالم الإسلامي، فكلاهما دعوة إلى تهوين القيم الإسلامية والفضّ من اللغة العربية، وتقطيع الأواصر بين الشعوب الإسلامية والتنديد بحال الشعوب الإسلامية، والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية[17].

وحتى تكون المشاريع صحيحة وذات نتائج، عمل المستشرقين من خلال أعمالهم وإصداراتهم الفكرية على الاهتمام بفئة النخبة والعمل على اختراقها، تطبيقا لفكرة استغلالها لتكون وسيلة ومعول يحمل على عاتقه مهمة تطبيق مخططاتهم داخل مجتمعه وكل هدا يسمح للغرب باختراق المجتمع الإسلامي.

وعندما نقرأ لهذه الفئة، أو نحضر لمحاضراتها نرى بوضوح أثر هذه الحملة الخطيرة ضد الأمة الإسلامية وتاريخها، وكيف أصبح يسهر على تنفيذها وتطبيقها أبناء هذه الأمة الذين ترعرعوا وتغذوا واقتنعوا بآرائهم وأصبحوا أيادي المستشرقين لتطبيق خططهم ومشاريعهم[18]. فعملوا على توجّيه الأفكار والقراءات عبر كتاباتهم وأدبياتها لتحديد أفكار ومفاهيم وتصوّرات خاطئة للشرق العربي الإسلامي، وهي تراكمات لقرون من التنافس والصراع [19].

وأصبح هذا المستشرق من خلال بحوثه أداة استعملتها أوروبا لتطبيق أهدافها، حيث وقفت الحكومات الاستعمارية إلى جانبهم وساندتهم في أبحاثهم، فوضعت بين أيديهم كل الإمكانيات المادية، والإعلامية، ففتحوا لهم المكتبات، ودور الأرشيف، فظهر عمالقة في علم الاستشراق ليسوا من أوروبا ومن بقية العالم،

المنارة للاستشارات

ولكن الملفت للانتباه هو ولاء هؤلاء وخدمتهم لمشاريع دولهم وحكوماتهم السياسية، والعسكرية والثقافية والتنصيرية؛ أي الاستعمارية[20] بأنواعها وباختلافها عبر العصور، ومحاولة ضرب العالم الإسلامي من الداخل وذلك عن طريق الحط من ثقافته وكيانه وحضارته، من خلال استيعاب مقومات الثقافة الإسلامية وذلك عن طريق معرفة اللغة من أجل فهم القرآن واستعماله كسلاح لضرب المسلمين، والذي كان بمثابة السلاح الثقافي الفكري والذي سبق السلاح العسكري. وهنا يقول جيمس بلغور:" "إن الاحتلال البريطاني لمصر كان عن طريق سلاح المعرفة لا السلاح العسكري"[21]، حيث يعتبر الاستشراق من أهم الوسائل التي مهّدت وربما هذا هو سبب جلب علماء مستشرقين خلال الحملات الغربية النصرانية على العالم الإسلامي، هذا ما شهدناه خلال الحملة الفرنسية على مصر في 1798م، والحملة الفرنسية على الجزائر في 1830م، والتي اصطحبت في كل مرّة القوات الفرنسية جموع من العلماء في تخصصات مختلفة - مستشرقين - واستقروا في تلك المناطق، واهتمت بالبحث حول كل ما يتعلق بها، سواءً نجحت أم لا، فالنتيجة لم تؤثر على العلماء المستشرقين في إتمام نشاطهم لتحقيق أهدافهم[22] في الاستعمار العسكري وغزو الشرق ثقافيًا. واعتمد الاستعمار الجديد والمعاصر على المستشرقين ودراسات متخصصة حول كل ما يخص المنطقة المراد الاستيلاء عليها بصفة فعّالة في دراسة نفسية الشعوب، عاداتهم وتقاليدهم، مما فتح له كل المجالات، ووفر له المادة المناسبة واللازمة لتطبيق مناهجه، واستقراره وسيطرته على المناطق[23].

وهذا ما جعل القوى الاستعمارية توجه أعدادًا من المتعلمين في بلادها، للتفرغ للدراسات الشرقية من مختلف الجوانب اللغوية، والدينية والاجتماعية، وكان معظم المهتمين بهذه الدراسات إما من رجال الدين أو من المحسوبين على الكنيسة، [24] وذلك راجع لمدى تمويل الكنيسة لهم ، ما جعل الباحثين مدينين للكنيسة، ومرتبطين بها، ومتشبعين بالأفكار الكنسية، ويحملون انطباعات المدرسة الدينية، وأفكارها ونظرتها للإسلام والمسلمين[25]، فنشطوا وكتبوا معتمدين على كل أعمال من سبقوهم من أجل الوصول إلى بناء صورة معرفية لدى الغرب عن الإسلام والمسلمين في عهد

المنارة للاستشارات

الاستعمار، فألبسوا لتوجه الغربي نحو الشرق غطاء فلسفي، أخلاقي، وحضروا الأرضية لاستراتيجية السيطرة عليه[26].

يمكن تصنيف المستشرقين إلى ثلاثة أجيال، يعد الجيل الأول والثاني. منها من رجال الدين، ودلك نظرا لسيطرة الكنيسة في تلك الفترة على العلم والعلماء[27]، بينما ظهر الجيل الثالث مستشرقون من خارج الكنيسة، وان كانوا محسوبين عليها لارتباطهم الفكري أو العقائدي بالجيلين السابقين، وقد جاء الجيل الثالث مع الحملة الاستعمارية، وفي هذه المرحل فنشطت المدرسة الاستشراقية وتلقت فهم ومساندة وترويج من طرف الحكومات والنخب التي لها سلطة القرار في الغرب، فالتقت الأفكار القديمة حول الشرق بالمصالح والقوة الكبيرة التي امتلكها الغرب، وهذا ما سهل مهمة الاستعمار أمام الرأي العام، حيث تمكن الاستشراق من ترويج أفكار تجعل من الاستعمار الحل الوحيد، أصبحت مسألة الهيمنة على الشرق ومجتمعاته مهمة حضارية وحتى أنها مسؤولية إنسانية على الإنسان الغربي، وظهرت عدة نظريات في هذا المجال، كتلك التي تتكلم عن ضرورة قبول بهرمية الحضارات والتي تمنح الحق لأفضل الحضارات بفرض نفسها على الآخرين[28].

3- الاستشراق الفرنسي نموذجا:

تأثر الاستشراق الفرنسي بعوامل لها صلة بمقومات الهوية الفرنسية، وتأتي النصرانية والكاثوليكية في مقدّمتها، رغم التحول السياسي الذي عرفته، فلم تتخلّ عن النصرانية الكاثوليكية في مباركتها لقراراتها، متجاوزة علمانيتها[29]، أضف إلى ذلك أنه حضاريًا فرنسا ترى نفسها وريثة روما والعالم اللاتيني، وإحساسهم بتفوقهم الثقافي وحتى العرقي ولّد لديهم عدم التسامح مع الآخر، والآخر يمثل كل من له ثقافة تختلف عن ثقافة الغرب عامة، وخاصة الثقافة الإسلامية ، وتنظر إليهم على أنهم متخلّفين، وعملت عن طريق المستشرقين للترويج بهذه الأفكار بين أوساط المجتمع الإسلامي، بل وأكثر من ذلك إقناعهم على أن الثقافة والحضارة وكل ما يأتي من الغرب، وهذا ما نراه مثلاً في فرضها للغتها على كل المناطق التي تسيطر عليها[30].

وربما هذا هو سبب جلب علماء مستشرقين خلال الحملات الغربية النصرانية على العالم الإسلامي، هذا ما شاهدناه خلال

المنارة للاستشارات

الحملة الفرنسية على مصر في 1798م، والحملة الفرنسية على الجزائر في 1830م، والتي اصطحبت في كل مرّة القوات الفرنسية جموع من العلماء في تخصصات مختلفة - مستشرقين - واستقروا في تلك المناطق، واهتمت بالبحث حول كل ما يتعلق بها، سواءً نجحت أم لا، فالنتيجة لم تؤثر على العلماء المستشرقين في إتمام نشاطهم لتحقيق أهدافهم[31].

واتخذ الاستشراق شكلا علميا أكاديميا خاصة بعد الاتصال المباشر الذي حدث بين فرنسا والمناطق الإسلامية، وذلك منذ اكتشاف رأس الرجاء الصالح 1488م[32]، وتسارع المستشرقين متخذين عناوين مختلفة، علماء، منقبين، منصرين، وكذا افتتاح مراكز التنصير في إفريقيا جنوب الصحراء ابتداءً من الكونغو 1491م، ومن ثم عملت على التعرف على المنطقة والدخول إليها كأكبر غازي من كل الجوانب ثقافيًا، عسكريًا واقتصاديًا[33]، وأخذت تحاول التوسع على باقي أقطار العالم الإسلامي.

وما يمكن استنتاجه هو أن الحملات الاستعمارية المعاصرة، كانت مبنية أساسا على الخبرة العسكرية، وخاصة على أعمال وأبحاث وجهود المستشرقين والذين تنقلوا بين الدين والجغرافية والتاريخ والاقتصاد من أجل تحقيق الانفتاح الكلي على العالم الاسلامي، وفتحها على المستشرقين لدراسات دون أي عائق[34].

4- الوسائل المستعملة من قبل المستشرقين:

مما تقدم نصل إلى أن المستشرق إن لم يكن منصرًا، فهو طليعة للتنصير والاستعمار، فهو الذي يمهد الطرق بمختلف الخطابات والتي تمس الفرد وعقيدته، دينه وهويته، من أجل زرع الشكوك والتي من خلالها يتسنى للقوى الاستعمارية اختراق المجتمع عن طريق المنصرين أو عن طريق نخبة هذا المجتمع[35].

ومن أجل تحقيق ذلك يستعمل عدة وسائل تمكنه من تحقيق أهدافه، حتى يتمكن من اختراق المجتمع المراد تنصيره وفرز أفكاره التي تزرع الشك والظنون حول التراث الإسلامي وفوائده، وتشكيك في العقيدة حتى يفقد المسلم ثقته بنفسه، ويتجه نحو الحضارة الغربية، بحثًا عن هوية جديدة، فيصطدم بمقاييس أخلاقية جديدة ومبادئ وعقائد أخرى، وسلوك يختلف تمامًا على ما هو فيه،

المنارة للاستشارات

فإما أن يتبنى هذا المنظور وإما أن يفقد كل معالمه وأسسه، وكل المقاييس وفي كلتا الحالتين يصبح سهل الانصياع داخل المجتمع الجديد المصنع من طرف هذه الفئة والسيطرة عليه، من أجل استغلاله، واستعباده، فتصبح هذه الشعوب قابلة للاستعمار، فكرًا وثقافة، وقد يعتبر أخطرها ما أصيب به العالم الإسلامي، وهو قابلية الاستعمار، ويمكن حصر الوسائل التي وظفها المستشرقون لتحقيق اهدافهم في:[36].

أ-التأليف:

لعب الكتاب بمفهومه العام، أي كلّ ما كان يصدر من طرف المستشرقون، من كتابة التي كانت تشمل دراساتهم وبحوثهم والتي يروجون بها لأفكارهم وينشرونها في أوساط النخبة في العالم الإسلامي، وجاءت هذه المؤلفات من أجل التشكيك في كل مقومات هذه الأمة، عقيدتها، تاريخها، حضاراتها وهذا النشاط المكثف حتى يفقد المسلم ثقته بنفسه، فيبحث عن معالم أخرى من خلال مصطلحات أو مفاهيم جديدة مستوردة من الغرب ليختفي وراءها من أجل تبرير التقليد أو محاولته الانتماء للغرب مثل: التنوير، التقدمية، الحداثة، النهضة، الانفتاح وغيرها[37].

فكانت مؤلفات حول مختلف المواضيع التي تهم المسلم ابتداءً من إسلامه وكتابه ورسله، وكان معظمهم يكنون العداء والحقد، فنسجوا حول هذه المواضيع سياج من الأكاذيب والمغالطات خدمة لأهدافهم[38]. وكانت ولازالت هذه المؤلفات مراجع أساسية يعتمد عليها كل المنصرين في تكوينهم الأولي، كما استعملها المسلمون كمراجع أساسية خلال دراستهم في الجامعة الأوروبية[39].

وكانت بداية الكتابات والبحوث والدراسات الاستشراقية موجهة خاصة للأوربيين وللغرب عامة، لإبعادهم عن هذا الدين الذي أصبح يهدد أوروبا في عقر دارها، فهاجموا القرآن والعقيدة والرسول وأحاطوا بالعديد من الخرافات والأكاذيب، وكل هذا من أجل محاصرة الإسلام والمسلمين[40]، حيث يقول المستشرق الروسي ألكسي جورافسكيAlexy Zhuravsky[41] عن هذه المرحلة: «... لقد هيمن على الإدراك الأوروبي في القرون الوسطى، الموقف السلبي الصريح اتجاه الإسلام، رغم أن الأطروحات والمؤلفات

المنارة للاستشارات

المصنفة ضمن هذا المنحنى قد انتشرت عندئذ بأشكال وصيغ مختلفة...»[42].

لم تتوقف هذه النظرة العدائية لكل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين في العصور الوسطى، بل تواصلت حتى العصور الحديثة وأصبحت لا تقتصر على رجال الدين وعلماء اللاهوت، بل مست حتى الأدباء والفلاسفة والشعراء والمتشبعين بكل ما كتب من قبل من أكاذيب حول الإسلام، وهذا ما نلمسه في العديد من المؤلفات الأدبية في بداية العصور الحديثة كمؤلفات دانتي أليجيري (Danté Alghieri)[43]، ولم تتوقف عند دانتي، بل عمت هذه الظاهرة على كل أعلام الفلسفة والآداب، أمثال شيكسبير (Shakespeare)، وتوماس الأكويني (Thomas d'Aquin)[44]، وفولتير، ومونيسكيو، وشكسبير، وقد وصف توماس الأكويني الدين على أنه دينًا للجهلة، ومؤيدي استخدام العنف، وهذه النظرة ورثها العديد من الفلاسفة والأدباء ومفكرين الغرب النصراني، وتمكنوا من وضع صورة معينة للمسلمين من الصعب التحرر منها[45].

ومن ذلك ما أشار اليه مونتيسكيو مثلاً في أطروحته روح القوانين (L'esprit des lois) وكذا الرسائل الفارسية (Les lettres Persians)[46]، يصف الإسلام بالاستبدادي والمتناقض مع الغرب، وهذه الفكرة التي نقلها عنه كارل ويتفوجل (Karl Wittfogel)[47] في كتابه المشهور والذي انتشر في كل ربوع العالم، الاستبداد الشرقي (Le dispotisme oriental) والذي نشر في 1967م[48].

فنجد كذلك توماس فالبي فرنش (Tomas Valpy French) يقول: «... إن النصرانية والمحمدية في اختلاف تام مثل اختلاف الأرض والجنة، لا يمكن بأي حال أن يتعايشا معًا...»[49]. وأرنيست رينان Ernest Renan[50] يرى أن شعوب الشرق وإفريقيا ذوي عقول مغلقة أمام العلم وليسوا بقادرين على الانفتاح على أي شيء جديد، ويذهب إلى أبعد من ذلك في طرحه، أن مستقبل الإنسانية متوقف على الأوربيين، ولكن هناك شرطًا ضروريًا لذلك وهو تحطيم عناصر الحضارة السامية والقوى الدينية للإسلام[51].

المنارة للاستشارات

وهناك العديد من المفكرين والفلاسفة والأدباء الذين ساروا على نفس المنوال أمثال جيرار دي نافال (Gerard de Naval) وفولني ومارك بلوك (Marc Block) وغيرهم الذين أجمعوا على التفوق الأوربي وأن الشرق وكل ما يحتويه من ثقافة وإنسانية ما هو إلاّ سقوط من دائرة التاريخ المتحضر[52].

وما عدا الكتب، اهتم المستشرقون بإنشاء دوائر المعارف، وهذه الموسوعات دائرة المعارف بلغات متعددة والتي أصبحت مرجعًا علميًا لعدد من الطلاب في أنحاء العالم لاسيما الدول الإسلامية، واشترك في هذه الموسوعات عدد كبير من المستشرقين وأسندت كل مادة لمستشرق معين كتب فيها، وتعدّ دائرة المعارف الإسلامية من أخطر وسائل الاستشراق لأنها مملوءة بالمعلومات السهلة الوصول إليها، وإن كان 90% من معلوماتها صحيحة إلاّ أنه تبقى تلك الخمسة بالمئة والتي من خلالها ينشر المستشرق المغالطات والأكاذيب حول الإسلام، وبما أنها في متناول حتى الباحثين باللغة العربية، فأصبحت هذه الأخطاء شائعة وتستعمل في بحوث المسلمين ويدافعون عنها ويروجونها بين أوساط مجتمعهم، ومن بين محرري دائرة المعارف الإسلامية، المستشرق ج. أربري (A. J. Arberry)[53]، وكذا البارون كارادي (Barron Carra du Vaux)[54]، وكذلك هـ. أ. ر. جب (H. A. R. Gibb)[55] وهو من أهم محرّري وناشري في هذه الموسوعة وهناك الكثير والعديد منهم، كجولد تسهير (Gold Zieher)[56]، وما يمكن التركيز عليه هو مدى خطورة هذه الموسوعة رغم أهميتها العلمية لأنها مملوءة بالمادة العلمية، إلا أنها يجب أن تؤخذ بتحفظ وعلى الباحث تمحيص المعلومات الموجودة فيها للوصول للحقيقة العلمية الصحيحة.

ومن جهة أخرى اهتم المستشرقون بنشر المقالات والأبحاث في المجالات والصحف المحلية للأقاليم الإسلامية، وهذا من أجل بث أحسن ومباشر لأفكارهم، والترويج لها بين أقطار العالم الإسلامي. وتعتبر مجلة العالم الإسلامي (The Muslim world)، والتي أنشأها المستشرق صامويل زويمر في عام 1911م[57]، وترأس تحريرها

المنارة للاستشارات

لمدة 36 سنة وكانت تصدر من هارفرت، ومازالت تصدر إلى يومنا هذا، وهي من المجلات الدورية المحكمة ويكب فيها كل ما يتعلق بالعالم الإسلامي، وأغلب من يكتب فيها هم المستشرقين، وتوزع هذه المجلة على العديد من المكتبات في العالم لاسيما المكتبات الإسلامية، وتميزت الفترة التي ترأس فيها صامويل زويمر أنه ما كان يكتب فيها يضرب العالم الإسلامي في دينه وعقيدته[58].

كما يوجد مثيلتها بالفرنسية وهي مجلة العالم الإسلامي (Musulmane Revue du Monde)، وهي خاصة بالمستشرقين الفرنسيين وذلك ما بين 1913-1938م، ثم أصبحت تظهر بالفرنسية والإنجليزية فقط من 1945 -1977م[59].

- والمجلة الآسيوية أصدرت في 1820م كانت تصدر عن جمعية استشراقية.
- مجلة الجمعية الآسيوية الملكية وهي بريطانية.
- مجلة الدراسات الشرقية، وكانت تصدر في مدينة جامبير (Gambier) بولاية (l'Ohice) وكانت لها فروع في لندن وباريس، وكانت ذات طابع استشراقي.
- مجلة الإسلام ظهرت في باريس عام 1895م، والتي خلفتها مجلة العالم الإسلامي.

وكان للاستشراق الفرنسي العديد من المجلات المرتبطة به، وكانت تصدر في باريس والشرق الأدنى، وشمال إفريقيا عن الجمعيات والمعاهد والكليات والهيئات الخاصة والرهبانات، وجمعيات المستشرقين الفرنسيين وكانت تهتم بالمسلمين من أجل ترويج ونشر أفكار داخل هذه المجتمعات تخدم مصالحها[60]. واستطاعوا إنشاء ما يعرف بالمكتبة الشرقية (La bibliothèque oriental)[61].

وقد بلغ عدد ما ألفه المستشرقون خلال الفترة الممتدة ما بين منتصف القرن 19م وبداية القرن 20م،60 ألف كتاب ومجلة وموسوعات[62]، فربما تعتبر الكتابة من أهم الوسائل لأنها تصل الأذهان بشكل مباشر ويوجد العديد من الأمثلة[63].

المنارة للاستشارات

ب-الجامعات، النوادي، الجمعيات:

أما الوسيلة الثانية التي استعملها المستشرقون فهي التعليم في الجامعات الغربية، وخاصة الاهتمام بالأقسام التي تختص بدراسة الشرق الأوسط والأدنى أقسام أو تخصص التاريخ والأديان، فمن خلال محاضراتهم يقومون في البداية بإعطاء قراءات معينة للنصوص الأصلية والقديمة، مستعملين لأجل ذلك ترجمات غير دقيقة، أو يقومون بالتعليق حول المواضيع المختلفة لإعطائها توجه معين، وبالتالي إدخال الشك والظن في نفوس وقلوب كل الطلبة الذين يتبعون هذه الدروس وخاصة المسلمين منهم لزرع الشك، وإبعادهم عن معالمهم الأساسية، رغم أن التأليف يلعب دور مهم وواسع المجال، إلاّ أن الشفهي قد يكون له أثر عميق يترك بصمة في النفس، رغم أنه ليس واسع المجال، فلا يتعدّى العدد القليل، ولكن عادةً ما هذا العدد القليل يكون له عمل وأثر كبير، لأنه يمثل النخبة بين أوساط مجتمعه فيكون أسهل بالنسبة له أن يؤثر عليهم، لأن هؤلاء القلة يتعاملون مع شخص المستشرق، وعادة المستشرقين يتبنون طابع الطيبة وحسن الأخلاق، أما علميًا تجدهم يبهرون بكثرة علمهم ومعرفتهم وكأنهم يتحكمون في حقائق الشرق، وهذا يؤثر في الطالب أو المستمع.

لقد أصبح عدد كبير من المستشرقين يعملون في الجامعات الغربية، كما أسسوا جامعات داخل الأقاليم الإسلامية. فتأسس للاستشراق معاهد وتكونت جمعيات من المستشرقين يهتم بالبحث والدراسات في العلوم الاستشراقية، فنشرت بعض المخطوطات العربية، ووضعت الفهارس الشاملة لبعض الكتب الإسلامية، وفي نفس المرحلة تفطن اليهود إلى خطورة الفكر والعلوم الاستشراقية، وذلك لأن بإمكانها فتح الأبواب إلى المناطق المقدسة للنصارى وتجعلهم يسيطرون عليها[64]، ومن هنا تخصص فريق منهم في الدراسات الاستشراقية دون الابتعاد عن الخطط اليهودية وتمكن العديد من اليهود احتلال عدة كراسي في الجامعات الكبرى.

وعمل اليهود في هذا المجال مظهرين خدمتهم للأهداف التنصيرية، ولكن في حقيقة الأمر كانت بحوثهم وأعمالهم من أجل

المنارة للاستشارات

تطويق النشاط التنصيري واختراقه للوصول إلى تحقيق الأهداف اليهودية[65]، فعد للاستشراق عدة مدارس، كالمدرسة اليهودية بأهداف وأغراض تخدم الخطط اليهودية، وكذا المدرسة الإلحادية وهي ليس لها اعتقاد معين، إلا أنه تم احتواءها واحتواء كل أعمالها من طرف المدارس الأخرى، وكذلك المدرسة النصرانية وهي أقدمهم، حتى لا نقول أولهم، والتي أخرجت من الكنيسة في بدايتها الأولى والتي انقسمت فيما بعد بتطور الأحداث العالمية إلى كاثوليك وبروتستانت[66].

ومن خلال هذا التقسيم تتأكد العلاقة الوطيدة بين التنصير والاستشراق، فإن الفكر والحركة التنصيرية تنقسم بنفس الطريقة، أي التنصير الكاثوليكي والتنصير البروتستانتي، وما يهمنا في هذه الدراسة خاصة الكاثوليكي الفرنسي، ذلك أن فرنسا الاستعمارية تعتبر نفسها وريثة روما والعالم اللاتيني، والبنت البكر للكنيسة الكاثوليكية، وأحسن دليل ربما على ذلك هو انطلاق الحروب الصليبية من فرنسا[67]، كما كان تأسيس أول جمعية استشراقية باسم جمعية باريس الآسيوية وذلك في 1822م[68] وزاد ترسخ الاستشراق الفرنسي بعد إنشاء كراسي اللغات الشرقية في أهم الجامعات الفرنسية، أهمها:

- جامعة السربون (La Sorbone) والتي أسسها الأب روبير دي سربون (Robert de Sorbone)[69]، ثم جدد بناءها الكاردينال ريشليو عام 1626م، وضمها نابليون إلى جامعة باريس عام 1808م، اهتم معهد الآداب فيها بتاريخ الحضارة وفن الشعوب الإسلامية.
- معهد تعليم اللغات الشرقية الذي أنشأه البابا هونوريس الرابع عام 1285م.
- جامعة بوردوا التي تحتوي على معهد الآداب للغة العربية والتمدين الإسلامي، وأنشأت عام 1441م.
- كرسي الدراسات العربية في ريمس الذي أنشأه الملك فرانسوا الأول عام 1519م.
- معهد فرنسا للدراسات الشرقية سنة 1590م.
- المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية أنشأت عام 1795م، بأمر من الإمبراطورة ماريا تيريزا لتدريس القناصل والسفراء، والتجار

المنارة للاستشارات

اللغات الشرقية، وكان المستشرق الفرنسي دي ساسي سلفستر (Silvestre de Sacy)[70] ، والذي اعتبر العديد من المؤرخين أن ظهوره هو بداية الاستشراق الفرنسي في إطار أكاديمي علمي والذي انتهى إليه أو بالأحرى إلى مدرسته العديد من رواد الفكر الاستشراقي من مختلف البلدان الأوروبية[71]، بينما اعتبر روبير مانتران (Robert Montran) إنشاء المكتبة والكلية الملكية هي بداية انطلاق الاستشراق الفرنسي.

أما المنهج الذي اتبعه دي ساسي في دراساته الاستشراقية هو نفسه في أنحاء أوروبا من طرف الطلبة الذين تتلمذوا على يده، أمثال شامبليون المستشرق الذي رافق نابليون في حملته والذي اكتشف حجر الرشيد، والمكتوب بالخط الهيروغرافي، والذي لقبه المؤرخون بشيخ المستشرقين الفرنسيين[72].

وهناك اسم آخر بارز في علم الفكر الاستشراقي الفرنسي أرنيست رينان (Ernest Renan)[73]، والذي جاء لمواصلة ما بدأه دي ساسي، حيث قام بتدعيم الخطاب الاستشراقي وإعادة هيكلته، كما أنشأ مؤسسات فكرية حتى تتلاءم مع ثقافة عصره وتتمكن من الاستمرار، معتمدًا أساسًا على نشر كل أبحاث وأعمال دي ساسي[74].

كما كان للاستشراق الفرنسي وراء إنشاء وتأسيس العديد من المعاهد والكليات والمؤسسات داخل الأقاليم الإسلامية، كمعهد مصر الذي أسسه نابليون عام 1898م، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، وقد أنشأه مونسبيرو عام 1880م، وكلية الأب بورجاد في تونس عام 1841م، والتي تحولت إلى معهد الآداب العربية عام 1937، ومدرسة الآداب العالية بالجزائر، وأنشأها فاري عام 1881م والتي تحولت إلى جامعة عام 1909م، وكذا المعهد الفرنسي بدمشق والذي تأسس خلال المدة 1922 - 1930م، ومعهد الدراسات المغربية في الرباط عام 1931، ومعهد قرطاج في تونس عام 1895م، ومعهد الدراسات العليا في تونس عام 1945م، والمعهد الفرنسي الإيراني في طهران عام 1948م[75].

المنارة للاستشارات

جـ-الترجمة:

فبمجرد سقوط طليطلة في سنة 479هـ/1086م سارع المستشرقين الفرنسيين لدراسة المخطوطات وترجمة عدد كبير منها، كما عملوا جاهدين على جمع المخطوطات العربية والحصول عليها بأية طريقة أو ثمن، إما بشرائها من أشخاص جهلة لا يعملون قيمتها العلمية، أو حتى سرقتها في بعض الأحيان من المكتبات العامة، وحدث هذا خاصة في الفترة الأخيرة للعصور الحديثة[76] والمعاصرة، فبمجرد ظهور فترة حرب أو فتن داخلية للأقاليم الإسلامية العربية، يتسارع المستشرقين للاستيلاء على المخلفات العلمية من مخطوطات، وبهذه الطريقة انتقلت أعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية إلى المكتبات الأوربية وترجمت، حيث وصلت في بداية القرن 19م حوالي 250 ألف مجلد[77].

واحتلت فرنسا المراتب الأولى خاصة بعدما سجل الدير كلوني (Cluny) الذي برز باحتضانه الترجمة الأولى للنص القرآني في عام 114م[78]، رغم أن هذه الترجمة أساءت كثيرا للقرآن وحرفت العديد من معانيه وألفاظه، وذلك لأنه كان موجه للرّد على المسلمين[79].

ويمكن اعتبار الترجمة المرحلة الأولى في الفكر والنشاط الاستشراقي، من اللغة العربية إلى اللغات الأوربية، طبعًا ترجمة الأوروبيين كذلك مصادر اليونانية أو الحضارة الإغريقية والرومانية، ولكن تبقى ترجمة علوم العرب تحتل أكبر حصة ابتداءً من ذهابهم إلى الأندلس[80]، لتستمر المدرسة وتتواصل، جاءت ترجمة معاني القرآن بعد ترجمة كلوني مثل ترجمة جورج سيل، كما ترجموا تاريخ الطبري من العربية إلى الإنجليزية، فلا شك أن الترجمة وسيلة من وسائل نشر الفكر الاستشراقي، وبلا شك أنهم أفادوا منها لاسيما في المرحلة الأولى من مراحل التطور الاستشراقي في نقل العلوم والمعارف والمناهج الإسلامية من اللغة العربية إلى اللغات الأوربية المختلفة، وقد عبر كبير مستشرقي فرنسا على هذه الفترة هو لويس ماسينيون: إنها اليقظة الحضارية

المنارة للاستشارات

في أوروبا[81]، وفي 1130م قام عالم طليطلي بإنشاء مؤسسة لنقل الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية[82].

وفي عام 1158م وصل إلى إنجلترا عالم طليطلي آخر يدعى إبرايم بن عذراء لفت انتباه الناس لضرورة تعلم العلوم الإسلامية، ومن هنا بدأ تكاثر الدارسين والمترجمين الأوروبيين المتخرجين من مدارس إسبانيا العربية والإسلامية[83]، وقد وصف شبلي النعماني أوروبا في هذه المرحلة بأنها بقدر ما كانت أوروبا تتعطش لسفك دماء المسلمين بسبب الخلافات كانت حرصًا على الاستفادة من علوم العرب والمسلمين[84]، وفي البداية اهتموا بالكتابات التي ليس لها علاقة بالدين، ثم بدأت حملتهم ضد الإسلام وتشويه لتصل ذروتها في نهاية هذه المرحلة[85].

وما يمكن ملاحظته هو أنه على الرغم من كل الفروقات الفكرية الموجودة بين العلماء والمفكرين، من حيث منطلقاتهم الفكرية، لاهوتية أو علمانية كانت، إلاّ أنهم اتفقوا في الرأي والنظرة فيما يخص المسلمين والإسلام، فامتزجت أفكار المدرسة الاستشراقية التقليدية والمدرسة الاستشراقية الحديثة، وحاولت تقديم نموذج جديد للمجتمعات الإسلامية العربية، يقترب من النموذج الغربي، حيث أصبحوا ينادون بالعلمانية وإبعاد الدين عن الدولة، وتغريب المجتمع الإسلامي، وذلك عن طريق إيجاد تسميات لظواهر التقدم وفرزها عن ظواهر التخلف، ويعني هنا أن التقدم هو تقليد الغرب فكرًا وسلوكًا ابتداءً بالمفاهيم للوصول إلى الهيئة الخارجية، ولكن اهتم المستشرقون بالنشاط بين النخبة بنشر المفاهيم والاعتقادات والنظريات التي تجعل النخبة تنتمي إليها ثم تروجها في أوساط مجتمعها، ولن يتم ذلك إلاّ عن طريق التأليف.

كل هذا النشاط المكثف زوّد المكتبة، والمؤلفات الاستشراقية بكم هائل من الكتب والدراسات والأبحاث والتي ترجمت ووزعت في كل أنحاء العالم، وطبعًا من أجل أن تصل كل هذه التصورات والأفكار للعالم وخاصة الأقاليم الإسلامية، يجب الاهتمام بدور النشر والطباعة، بعد وصول الطباعة عن طريق الحملة الفرنسية على مصر، اهتم المستشرقون بإنشاء دار الطباعة في لبنان من بينها، كدار فرانكلين للطباعة، والتي كانت تنشر سلسلة في غاية الخطورة وهي سلسلة كتب لا بد أن تقرأ. في الواقع أنه منذ زمن بعيد حيث

المنارة للاستشارات

ظهرت أول مطبعة عربية في أوروبا في مدينة فانو بإيطاليا، وهي التي صدرت عنها بعض الكتب النصرانية عام 1514م[86].

ولوصول المادة استخدم المستشرقين وسائل الإعلام المطبوعة بكل أنواعها من كتب ومنشورات والصحف والمجلات، فكانت لهم عناية خاصة لتوزيع الإنجيل بلغات المسلمين المختلفة، لأنه أهم عمل مسيحي، ثم جزء كبير من هذه المهمة بعد أن طبع في بيروت 46 مليون صفحة من الإنجيل[87].

ونظرًا لأهمية الطباعة في نشر الأفكار بين أوساط المجتمع والنخبة خاصة، فقد أعطى المنصرين الأولوية للطبع والإصدار حتى أنه ظهر تخصص بعض الإرساليات في مجال الطباعة، من بينها:

- رابطة الإيمان لمساعدة الإرساليات.
- منظمة نشر النصرانية في الشرق الأوسط[88].

وهناك بعض الدور النشر:

- كدار النشر الفرنسية Le Cerf سارف.
- ودار الهداية ومقرها النمسا[89].

وحتى تكون نتائج هامة وتحقق أهدافها، فإنهم يقومون بتوزيعها على نطاق واسع وبأسعار زهيدة جدًا، تكاد تكون مجانية وعن طريق عدة منافذ ووسائل، مثل المكتبات في الكنائس، الإرساليات، المدارس، المستشفيات في أوساط الطلبة في الجامعات، داخل الأندية، أو حتى المكتبات المتحركة والتجمعات[90].

كما أنشئوا مكتبات ظاهرًا تقوم ببيع الكتب وفي الحقيقة هدفها إدارة أعمال التنصير وتوزيع منشوراته وكتبه، أو عن طريق إرسالها بواسطة البريد[91]، ونتج عن دور النشر هذه العديد من الكتب والتي كانت بمثابة كتب أساسية في نشاط وأعمال المستشرقين للوصول إلى تحقيق هدفهم.

الخاتمة:

يمكننا أن نخلص في ختام هدا البحث إلى نتيجة أساسية، تؤكد على الدور الجوهري الذي لعبه الفكر الاستشراقي في اختراق وتوجيه بعض النخب في العالم الإسلامي وتحويلها من خلال التضليل إلى أدوات لضرب قيمها الدينية والاجتماعية، وغزوها بمفاهيم وقيم غربية ذات أصول كنسية، والهدف الأساسي هو سلخ المجتمع الاسلامي عن مقوماته الدينية والحضارية وزعزعة أسسه

المنارة للاستشارات

لإدخال أفراده في حالة من الاغتراب والتوتر المراوح بين قيمه الأصلية وقيمه الدخيلة.

-الهوامش:

(1) (ظهر مدلول هذا الأصل لهذا المصطلح في اللغة الفرنسية سنة 1799م عند مكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) ولم يظهر في اللغة الإنجليزية حتى سنة 1838م، والحاجة لإيجاد فرع يتخصص في دراسة الشرق هي التي ساعدت على ظهور هذا المصطلح، وكذلك الحاجة إلى المجلات والجمعيات والأقسام العلمية.)

(2) محمد عمارة: **الغارة الجديدة على الإسلامي**، مرجع سابق، ص27.

(3) الفصل الأول من هذه الدراسة.

(4) سعيد عبد الرحمن العظمي وآخرون: **الإسلام والمستشرقين**، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدّة، 1985، ص125.

(5) عامر عبد زيد الوائلي: **تأصيل مفهوم الاستشراق**، مرجع سابق، ص ص16-17.

(6) محمد العربي معريش: **الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية (1822 – 1872م)**، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009، ص ص118-119.

(7) حسن كامل الديليمي: **بين الاستشراق والغزو الفكري** موسوعة الاستشراق، مرجع سابق، ص741.

(8) مصطفى السباعي: **الاستشراق والمستشرقون**، مرجع سابق، ص14.

(9) نفسه، ص742.

(10) نجيب العقيقي: **المستشرقون**، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص ص51-52.

(11) علي عبد الهادي المرهج: **العلاقة بين الشرق والغرب... حوار أم صراع**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999.

(12) محمد عمارة: **الغارة الجديدة على العالم الإسلامي**، دار النهضة، مصر، 2007، ص ص24-26.

(13) نفسه.

(14) محمود عبد الرحمان: **التنصير والاستغلال السياسي**، مرجع سابق، ص17.

(15) أحمد عبد الوهاب: **حقيقة التبشير...**، مرجع سابق، ص33.

(16) نفسه، ص37.

(17) محمد البهي: **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، مطبعة الأزهر، القاهرة، ص507.

(18) طلال العترسي: **البعثات اليسوعية...**، مرجع سابق، ص ص55-57.

المنارة للاستشارات

(19) محمد الدعيمي: **بواكير الوعي الأمريكي بالعرب والإسلام**.
(20) سعيد عبد الرحمن العظمي وآخرون: **الإسلام والمستشرقين**، مرجع سابق، ص129.
(21) Edward W. Said, **L'orientalisme, l'orient crée par l'oxident**, éd., de Seuil, Paris, 1980, p62.
(22) أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1900م - 1930م**، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص160.
(23) محمود عبد الرحمان: **التنصير والاستغلال السياسي**، دار النفائس، لبنان، 2009، ص27.
(24) الطيب بن إبراهيم: **الاستشراق الفرنسي**، مرجع سابق، ص136.
(25) محمد العربي معريش: **الاستشراق الفرنسي**، مرجع سابق، ص121.
(26) عبد الله يوسف سهر محمد: **المؤسسات الاستشراقية والسياسة الغربية اتجاه العرب والمسلمين**، مركز الدراسات والبحوث الاستشراقية، عدد 57، الإمارات، 2001، ص17.
(27) نفسه.
(28) Edward. W. Saïd: **Culture et Impérialisme**, éd., Fayard, Paris, 2000, p17.
(29) جواد كاظم نصر الله، شهيد كريم الكعبي: **الاستشراق الفرنسي والبعثات اليسوعية، لقاء الاستشراق والتبشير**، دراسات استشراقية، العدد الرابع، ربيع 2015م، صفحات (110-292)، ص120.
(30) وفاء عبد الله المزروع: **جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري**، ط1، دار القاهرة، مصر، 2009، ص ص57-78.
(31) أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1900م - 1930م**، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص160.
(32) يوهان فوك: **تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2001، ص35.
(33) يمبا آدم: **روايات الغرب لإفريقيا الغربية الفرنكوفونية، دراسة في الأبعاد الإسلامية**، مركز الجامعة الإسلامية للنشر، ماليزيا، 2013، ص ص-24 23.
(34) نفسه، ص90.
(35) محمد بن ناصر الشترى: **التنصير في البلاد الإسلامية، أهدافه، ميادينه، آثاره**، ط1، دار الحبيب، الرياض، 1998، ص38.
(36) محمد عمارة: **الغارة الجديدة على العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص57.
(37) ساسي سالم الحاج: **نقد الخطاب...**، مرجع سابق، ص37.
(38) محمد عمارة: المرجع السابق، ص61.

المنارة للاستشارات

(39) ساسي سالم الحاج: **نقد الخطاب...**، مرجع سابق، ص41.
(40) مصطفى خالدي وعمر فروخ: **التبشير والاستعمار**، مرجع سابق، ص56.
(41) نفسه، ص58.
(42) ألكسي جورافسكي: **الإسلام والمسيحية...**، مرجع سابق، ص74.
(43) أكبر شعراء إيطاليا ورجل سياسي من فلورانسا (1265 – 1321م)، للمزيد انظر:
Marie-Nicolas Bouillet et Alexis Chassang (dir): **Danté Alighieri, dans dictionnaire universel d'histoire et de géographie**, 1878.
(44) توماس الأكويني فيلسوف (1224 - 1274م) صقلية، رجل دين دومينيكي، اشتهر بأعماله اللاهوتية والفلسفية، وقد أعلن البابا ليون 13 في 1879 أن أعماله تعبر عن التيار الفكر الكنسي. للمزيد انظر:
André Clément : **La sagesse de Thomas d'Aquin**, nouvelle éditions latines, Paris, 1983, p36.
(45) عبد الله يوسف سهر محمد: **المؤسسات الاستشراقية**، مرجع سابق، ص10.
(46) دليلة بوجناح: **الفكر الاستعماري الفرنسي وتطوره خلال القرن التاسع عشر**، مرجع سابق، ص ص55-56.
(47) نفسه، ص31.
(48) بشارة خضر: **أوروبا والوطن العربي، القرابة والجوار**، ترجمة جوزيف عبد الله، مركز الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص32.
(49) Edward. W. Saïd: **Culture**, op.cit, p22.
(50) Marie-Nicolas Bouillet et Alexis Chassang: **Danté Alighieri**, op.cit, p467.
(51) Ernest Reman: L'Islam et la science, éd., Calmann Levry, Paris, 1883, p18.
(52) هشام جعيط: **أوروبا والإسلام**، صدام الثقافة والحداثة، دار الطليعة، بيروت، 1995، ص ص10-33.
(53) أرثور جون هاربوري (Arthur John Arbery)، مستشرق إنجليزي متعصب، يكن العداء للمسلمين والإسلام، وهو كان أستاذا في كمبرج ومختص في الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا وكان له عدة كتب من بينها:
- الإسلام اليوم 1943.
- مقدمة لتاريخ التصوف 1947.
- التصوف 1950.
للمزيد انظر: عبد الرحمن بدوي: **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص....

المنارة للاستشارات

(54) بارون كارا ديفو (Barron Carra du Vaux)، فرنسي متعصب جدًا ضد الإسلام والمسلمين وكانت له مساهمة كبيرة في دائرة المعارف الإسلامية.

(55) هاملتون ألكسندر روسكان جيب (Hamilton Alexander Gibb Rosskeen)، مؤرخ (1885 - 1972م) أكبر مستشرق في إنجلترا المعاصرة، كان عضو للمجمع اللغوي في مصر، وأستاذ الدراسات الإسلامية، وله عدة كتب منها:
- طريق الإسلام مترجم.
- الاتجاهات الحديثة في الإسلام 1947 مترجم.
- المذهب المحمدي 1947.
- الإسلام والمجتمع العربي وهو في عدة أجزاء.

(56) جولديزهر Goldizher يهودي (1850 - 1920م)، زعيم الإسلاميات في أوروبا بلا منازع، أنظر:

(57) أ. ل. لوشاتلي: **الغارة على العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص156.

(58) محمد عمارة: **الغارة الجديدة على العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص ص91-93.

(59) محمد العربي معريش: **الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق**، مرجع سابق، 2000، ص ص100-107.

(60) Edward. W. Saïd, **L'orientalisme**…, op.cit, p232.

(61) Ibid., p238.

(62) Ibid., p259.

(63) العودة لكتاب محمد حسين علي المغير: **المستشرقون والدراسات القرآنية**، دار المؤرخ، بيروت، لبنان، ص ص142-162، أين يتكلم أو يعطي قائمة للمستشرقين تخصصوا في القرآن وترجمته وفترة أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م.

(64) عبد الرحمان حنبكة: **أجنحة المكر الثلاث**، مرجع سابق، ص ص83-85.

(65) علي بن إبراهيم الحمد النملة، **الاستشراق في الأدبيات العربية، عرض لنظريات وحصر وراقي**، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض، 1992م، ص...

(66) محمد بن ناصر الشترى: **التنصير في البلاد الإسلامية**، مرجع سابق، ص35.

(67) جواد كاظم نصر الله، شهيد كريم الكعبي: **الاستشراق الفرنسي...**، مرجع سابق، ص ص237-240.

(68) نجيب العقيقي: **المستشرقون**، مرجع سابق، ج3، ص1101.

(69) هو كاهن القديس لويس Saint Louis.

(70) Antoine-Isaac, Baron Silvister de Sacy مستشرق فرنسي، اهتم بالمشرق الإسلامي، ورغم الغموض الذي يحيط بالكيفية التي صار بها

المنارة للاستشارات

مستشرقًا، إذ لا يعرف له أساتذة ولا كيف وصل لهذا التخصص، أي الدراسات الشرقية، العربية، والعبرية والفارسية إلا أنه كان متقن للغات القديمة واتخذ مهمة التدريس في الكوليج دو فرانس عام 1806م، أين ألف كتابه "النحو العربي" بمجلدين. للمزيد انظر: محمد العربي معريش: **الاستشراق**، مرجع سابق، ص96.

([71]) Edward. W. Said: **L'orientalisme**, op.cit, p112.

([72]) Ibid, p113.

([73]) جوزيف أرنيست رينان (Joseph Ernest Renan) 1823 - 1892م، انظر:

Charle Chauvin : **Renan (1823-1892)**, éd., Desclée de Brouwer, 2000, p36.

([74]) Edward. W. Said, **L'orientalisme…,** op.cit, p232.

([75]) Ibid., pp155-157.

([76]) وفاء عبد الله المزروع: **جهاد المسلمين خلف جبال البرتات...**، مرجع سابق، ص83.

([77]) فؤاد كاظم المقدادي: **الإسلام وشبهات المستشرقين...**، مرجع سابق، ص14.

([78]) وات منغمري: **فضل الإسلام على الحضارة الغربية**، ترجمة حسين أحمد أمين، ط1، دار المعارف، مصر، 1983، ص ص81-82.

([79]) هذا ما صرح به بطرس المبجل (Pierre le Venerable) نفسه، انظر: نجيب العقيقي: **المستشرقون**، مرجع سابق، ص ص122-123.

([80]) نفسه، 125.

([81]) جان موريون: **لويس ماسينيون**، ترجمة منى النجار، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ص95.

([82]) سعيد عبد الرحمن الأعظمي وآخرون: **الإسلام والمستشرقون**، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، 1985، ص73.

([83]) نفسه، ص103.

([84]) Edward. W. Said: **L'orientalisme**, op.cit, p57.

([85]) سعيد عبد الرحمن الأعظمي وآخرون: **الإسلام والمستشرقون**، المرجع السابق، ص115.

([86]) كرم شلبي: **الإذاعات التنصيرية**، ط1، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1412هـ، ص59.

([87]) محمد الدين الخطيب، مساعد الباقي: **الغارة على العالم الإسلامي**، ط1، دار العلمية، بيروت، 1424هـ، ص29.

([88]) عبد العزيز عسكر: **التنصير ومحاولته في بلاد الخليج**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1414هـ، ص ص40-41.

المنارة للاستشارات

(89) كرم شلبي: **الإذاعات التنصيرية**، مرجع سابق، ص60.
(90) نفسه، ص61.
(91) عبد العزيز عسكر: المرجع السابق، ص ص42-43.